الكفاءة الإعلامية في نهج البلاغة «دراسة لسانيَّة نصيَّة»

Media Competence in Nahj al-Balagha: A Linguistic Textual Study

أ. م. د. محمد شمخي جبر

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة

Asst. Prof. Dr. Mohammed Shumkhi Jabr

Imam Al-Kadhim University College of Islamic Sciences

https://doi.org/10.64704/almubeen.2025012405

الملخص

تُعَدُّ النصوص التواصلية إحدى أهم أدوات الإنسان لنقل الأفكار والتوجيهات والمعاني، وتتطلّبُ هذه النصوص معايير عدة، لتحقيق فعاليتها وتأثيرها في المتلقي. ومن بين هذه المعايير، يبرز معيار الكفاءة الإعلامية، وهو جزء من المعايير النصية السبعة التي اقترحها عالم اللغة ديبوغراند. في هذا السياق، تُفهم الكفاءة الإعلامية على أنَّها القدرة على تقديم معلومات جديدة ومفيدة للمتلقي، بأسلوب يوازن بين الإثارة والإفهام، الأمر الذي يوصل إلى الهدف النهائي للنص، وهو شدُّ انتباه المتلقي، وإحداث تغيير في وعيه وسلوكه.

ويُعَدُّ كتاب (نهج البلاغة)، الذي يتضمّن خطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ورسائله وحِكَمه، نصًّا غنيًّا بالكفاءة الإعلامية؛ إذ يحمل في طياته معاني عميقة وأفكارًا تتجاوز حدود الزمان والمكان، فقد استعمل الإمام (عليه السلام) لغة تواصلية عالية الجودة، تجمع بين الإيجاز والوضوح، وبين الغموض الذي يحفز الفكر والتأمل، وبين الشمولية التي تخاطب كل مستويات المعرفة؛ لذا جاءت الدراسة لتبيّن مدى ارتفاع إعلامية نصوص نهج البلاغة، ومدى تفاعل المتلقي مع النصوص المتوقعة وغير المتوقعة.

الكلمات المفتاحية: نهج البلاغة، الإعلامية، الكفاءة الإعلامية، دراسة لسانية.

Abstract

Communicative texts are considered one of the most important tools. through which humans transfer ideas, directions and meanings. These texts require several criteria to be effective and to influence the receiver. Among these criteria is media competence, which is one of the seven standards of textuality proposed by the linguist De Beaugrande. In this context, media competence is understood as the ability to present new and useful information to the receiver in a manner that balances. stimulation and comprehension. This, in turn, leads to the ultimate goal of the text-to capture the receiver's attention and bring about a change in their consciousness and behavior. Nahjul al-Balagh, which contain's Imam Ali's sermons, letters, and sayings, is considered a text rich in media Competence, as it conveys profound meanings and ideas that transcend the boundaries of time and place. Imam Ali employed a highly effective Communicative language that combines conciseness and clarity with a degree of ambiguity that stimulates thought and reflection, as well as a universality that addresses all levels of knowledge. Therefore, this study aims to demonstrate the high level of media competence in the texts of Nahjul al-Balagha and to explore the range of the receiver's reactions to both expected and unexpected messages.

Keywords: Nahj al-Balagha, Media competence, Media, Linguistic Study.

التمهيد:

الإعلاميَّة: (Informativity)

مفهوم المصطلح: هناك مفهومان أساسيان مختلفان لمصطلح الإعلامية، فالأول تدور معانيه حول الإعلام والإخبار والإبلاغ، وهو ما تعارفنا عليه من معنى ظاهر، فكل نص لا بُدَّ له من أن يؤدي إلى إخبار معلومة ما أو إطلاع المرسل إليه على واقع أحداث معينة؛ أي أنَّ إعلام شخص ما بأحداث معينة يعني تعريفه أو إخباره بهذه الأحداث عن طريق نقل وقائعها إليه[1]، ولعلَّ ما يراه (إبراهيم إمام) حول تعريفه للإعلام أقرب إلى فهم المصطلح، فهو يرى أنَّه (أي الإعلام) يمثل النقل الموضوعيّ للمعلومات بصورة صحيحة، بقصد التأثير الواعي على الفرد، حتى تتاح له فرصة تكوين رأي حر ومستقل تجاه الواقع المقدَّم له في شكل حقائق، وهذا لتحقيق التفاهم والتواصل والمشاركة بين المرسِل، وبين المتلقي على أساس الثقة المتبادلة[2]، وهناك مصطلح آخر يشبه مصطلح الإعلام إلى حدٍّ كبير ألا وهو الإعلان؛ إذ يمكن تعريفه بأنَّه ((العِلانُ والمُعالَنة والإِعْلانُ: المُجاهرة. عَلَن الأَمْرُ يَعْلُنُ عُلُوناً ويَعْلِنُ وعَلِنَ يَعْلَنُ عَلَناً وعَلانية فِيهِمَا إِذا شَاعَ وَظَهَرَ، واعْتَلَنَ؛ وعَلَّنه وأَعْلَنه وأَعْلَن بِهِ... والإِعْلانُ فِي الأَصل: إِظهار الشَّيْءِ))[3]، لكنه يختلف عن الإعلام بهدفه، فالإعلان يهدف إلى دفع من يستهدفهم الإعلان إلى الشراء، فهو ((يقوم على نقل المعلومات من مرسل إلى مستقبل من أجل التأثير على المستهلك، وحثّه على الإقبال على سلعة ما معروضة للبيع))[4]، فاللغة من منظور لساني لها وظيفتان رئيستان ترتبطان بمقاصد المتكلّمين، فالإنسان حين يتحدَّث لا بدَّ له من مقصد، فهو لا يتحدَّث من أجل تحريك أعضاء نطقه، بل لتحقيق وظيفتين هما: الوظيفة التعاملية، والوظيفة

التفاعلية[٥]، والذي يهمُّنا هنا الوظيفة التعاملية؛ إذ هي ((ما تقوم به اللغة من نقل ناجح للمعلومات، تبرز من خلاله قيمة الاستعمال اللغوي، فيركز المرسل جهده نحو بناء الخطاب ليستطيع المرسل إليه أن يأخذ منه المعلومات الصحيحة والدقيقة))[٦].

أمَّا الثاني، فيختلف مفهومه عن الأول، إذ تدلُّ معانيه على تفاعل المتلقي مع عناصر النص غير المتوقعة انطلاقاً من تصوّر مؤداه أنَّ النص الجيد يحقق مقاصد منتجة، وينال قبول المتلقي، ويستحوذ على إعجابه؛ إذا ارتفعت درجة الإعلامية فيه[٧]، ودرجة ارتفاع إعلامية النص تعتمد إلى حدٍّ كبير على تنوّع المعلومات وجِدَّتها، فكلما توقع المتلقي عناصر النص انخفضت إعلاميَّته، والعكس صحيح، بشرط ألّا ينعدم التواصل بين مرسل النص والمتلقي؛ لذا على منتج النص أن يلتزم جانب الحيطة والحذر كي لا تنوء قدرة المستقبلين على معالجة المعلومات بالعبء إلى الحدّ الذي يتعرّض فيه الاتّصال للانهيار[٨]، ويرى الجرجاني أنَّ مرسل النص قد تحمَّل المشقة وقطع الشقة البعيدة، فهو لم يصل إلى دُرَّةٍ حتى غاص، ولم ينل مبتغاه حتى كابد منه الامتناع، وممَّا لا شك فيه أنَّ الشيء الذي إذا علم أنَّه لم ينل في أصله إلّا بعد جهد جهيد، ولم يُدرك إلّا باحتمال النَّصَب، كان للعلم بذلك من أمره من الدعاء إلى تعظيمه[٩]، فالإعلاميَّة ترتبطُ بمفهوم التوقّع، فكلّما كان النمط مألوفًا متوقّعًا انخفض مستواها؛ لأنَّها تعتمدُ على شدِّ المتلقي وإثارته، فهي ((مدى توقع عناصر النص المقدمة أو عدم توقعها أو معرفتها أو عدم معرفتها وغموضها، ففي الواقع إنَّ كل نص هو إخباري على نحوٍ ما؛ إذ إنَّه ينقل على الأقل معلومة صغرى، غير أنّ مقدار الإعلامية هو ما يوجه اهتمام السامع))[١٠]، ويرى أحمد عفيفي أنَّ النص لا بُدَّ

لـه مـن دلالات محتملـة، يريـد مرسـل النـص إيصـالها إلى المتلقـي، فـإذا جـاء النـص فارغًـا مـن الدلالـة خلا النـص مـن صفـة الإعلاميـة[11]، ولعـلَّ هـذا الـكلام فيـه نظـر؛ لأنَّ مسـألة إعلاميـة النـص لا تعتمـد على مـا يحتويـه النـص مـن مضـامين ودلالات، بـل تعتمـد على جِدَّة المعلومـات وتنوعهـا، فلـو قلنـا مثلًا (يـدرس الـطلاب في المدرسـة) و(تـسير السـيارة في الشـارع) و(الأسـد حيـوان مفترس)، كل هـذه النصـوص تحمـل بين طياتهـا مضـامين ومعلومـات، إلّا أنَّهـا لا تحمـل صفـة الإعلاميـة؛ كونهـا نصوصًـا خاليـة مـن الجِـدَّة، ويـرى تمّـام حسّـان في قضيـة إعلاميـة النـص أنَّـه ((يمكـن النظـر إلى هـذا المصطلـح، لا مـن حيـث إنَّـه يـدل على المعلومـات التي تشـكل محتـوى الاتصـال، بـل مـن حيـث يـدل بالأحـرى على ناحيـة الجِـدَّة أو التنـوع التي توصـف بهـا المعلومـات في بعـض المواقـف، فإعلاميـة أي عـنصر إنَّما تكمـن في قلـة احـتمال وروده في موقـع مـعين بالمقارنـة بالعنـاصر الأخـرى في نفـس النـص، وكلما بعـد احـتمال الـورود ارتفـع مستوى الكفـاءة الإعلاميـة))[12].

ومِمَّـا سـبق يمكـن تحديـد اتجاهـات الإعلاميَّـة بما يـأتي:

الاتجـاه الأول: يـدور حـول صفـة الإعلاميـة بمعناهـا العـام، فـأي نـص يجب أن يقـدّم خبرًا مـا، ولعـلَّ النصـوص جميعهـا تـشترك في ذلـك.

الاتجـاه الثـاني: يـشير إلى الجِـدَّة والتنـوع في عـرض المعلومـات في مواقـف معينـة، هـذه الجِـدَّة يحدّدهـا المتلقـي بمعيـار عـدم التوقّـع.

الاتجـاه الثالـث: ينطلـق هـذا الاتجـاه مـن فكـرة الدعايـة لشـخص، أو فكـرة، أو موضـوع مـا[13]، ومِمَّـا سـبق يمكـن أن يكـون للكفـاءة الإعلاميـة ثلاث مراتـب.

مراتب الكفاءة الإعلامية:

للكفـاءة الإعلاميـة ثلاث مراتـب، تعتمـد هـذه المراتـب على مـدى توقـع

المعلومات داخل النص، وهي على النَّحو الآتي:

١) كفاءة إعلامية منخفضة الدرجة: ويكون المحتوى فيها محتملًا لتركيب محتمل؛ إذ يكون سهل الصياغة، ومن ثم يكون قليل الإعلامية.

٢) كفاءة إعلامية متوسطة الدرجة: ويكون المحتوى غير محتمل في التراكيب المحتملة، أو المحتوى المحتمل في التراكيب غير المحتملة، وهذه النصوص تتَّسم بالتحدّي، وهذا المحتوى غير مثير للجدل، ويكون في النصوص الأدبية.

٣) كفاءة إعلاميَّة مرتفعة الدرجة: ويكون المحتوى غير المحتمل في التراكيب غير المحتملة، وهذه النصوص صعبة الصياغة مثيرة للجدل الحاد[١٤].

المبحث الأول:

إعلاميَّة كسر الترابط الرصفي في خطب نهج البلاغة

يُعَدُّ مفهوم كسر الترابط الرصفي من المفاهيم النصية الخاصة بالإعلامية التي أشار إليها (دي بوغراند)، فهي تعني: ((الإشارة إلى كل نشاط وإجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب، بحيث يمكن للكلام أو الكتابة أو السماع أو القراءة أن تتم في توالٍ زمني))[١٥]، وقد يطلق عليه أيضًا التتابع الرصفي؛ إذ تخضع الجملة في اللغة العربية إلى نظام يرتب تتابع أجزائها، فالجملة الاسمية المتكونة من مبتدأ وخبر، يكون هيكلها الأساس تقديم المبتدأ على الخبر، أمَّا الجملة الفعلية، فتبدأ بالفعل ثم الفاعل، والمفعول، ((ويُعَدُّ التقديم والتأخير أبرز مظهر لكسر الترابط الرصفي؛ لأنّه يخرج الألفاظ من نمطها وطابعها الساكن إلى طابع تشتدُّ معه إثارة المتلقي ومفاجأته وكسر توقعه، ليحقق بذلك الإعلامية التي تتمثل في الجِدَّة في الأسلوب، وكسر المتوقع))[١٦]، وعدَّ الجرجاني التقديم والتأخير من الأبواب ذات الفوائد الكثيرة في اللغة العربية؛ إذ

يقول: ((هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان))[١٧]، والملاحظ في تغيير ترتيب مواقع الكلمات: أي (الخبر قبل المبتدأ)، و(المفعول قبل الفعل) في داخل النصوص يستعمل غالبًا لأهداف بلاغية؛ إذ يهدف إلى ترسيخ الحكم وإزالة الشك لدى المتلقي، الأمر الذي يضفي على النص طابعًا جديدًا، ويخلق عنصر المفاجأة، ممَّا يؤدي إلى كسر التوقعات، ويجعل المتلقي متحفّزًا على إيجاد البنية العميقة للنص.

وقد خصَّ ابن جني للتقديم بابًا سمّاه (باب في شجاعة العربية)، وجعله على ضربين هما: الأول ما يقبله القياس، كتقديم المفعول على الفاعل تارة، وعلى الفعل الناصب تارة أخرى، والثاني ما يسهله الاضطرار[١٨].

وممَّا لا شك فيه أنَّ للتقديم والتأخير أهدافًا، فهو من مظاهر تعزيز المعنى وتوكيده، إذ يعمل على إظهار ألفاظ وعبارات معينة عبر وضعها في غير موضعها الأصلية، الأمر الذي يلفت انتباه المتلقي، ويعمل التقديم والتأخير أيضًا على كسر توقع المتلقي، فيجعله باحثًا عن بين المعاني، وفي هذا تضفى لمسات جمالية على النصوص.

ومن مصاديق كسر التتابع الرصفي في خطب نهج البلاغة ما جاء في كلامه (عليه السلام) في صفة الدنيا؛ إذ يقول: «مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَآخِرُهَا فَنَاءٌ فِي حَلاَلِهَا حِسَابٌ وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ»[١٩]،

المتأمّل في قول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو يصف الدنيا، يجد تقديمين واجبين للخبر؛ إذ جاء الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة غير مخصصة في قوله: (في حلالها حسابٌ)، و(في حرامها عقابٌ)، وفي العادة يتوقع المتلقي أن يبدأ الكلام بالمبتدأ ثم يليه الخبر، إلّا أنّنا نجد مرسل النص هنا قد ابتدأ بالخبر؛ وذلك لتوجيه المتلقي وشدّ انتباهه حول مضمون جوهري مهم، فيثير فضوله لمعرفة سبب تقديم الخبر على المبتدأ وبيانه، وفي هذا التقديم خلقُ نوع من الإثارة الذهنية والتشويق، الأمر الذي يعزّز من تأثير العبارة وجعلها أكثر إقناعًا وقوة في إيصال المعنى إلى المتلقي، فالأداء المغاير للمألوف أدّى إلى زيادة الكفاءة الإعلامية عبر كسر توقع مستقبل النص لهذه المغايرة، فعندما يبدأ النص بهذا التقديم (في حلالها)، و(في حرامها) يجعل الجملة تحمل عنصرًا، يفاجئ المتلقي ويجعله أكثر ترقبًا وتشوقًا؛ إذ يبدأ بالتركيز على الجوانب التي تتعلّق بحساب الحلال، وكذلك عقوبة فاعل المحرمات، فشبه الجملة (في حلالها)، و(في حرامها) هو في محل رفع خبر مقدَّم، قد جعل المتلقي يفكر بتحديد الإطار الذي يدور فيه الحديث عن لفظة (الحلال) (والحرام) قبل أن تذكر النتيجة المترتبة عليه، وهي (الحساب)، (والعقاب)، فبدل أن تكون الجملة تقليدية تبدأ بالمبتدأ وتنتهي بالخبر، جاءت الجملة مغايرة للمألوف بتقديم الخبر (في حلالها)، و(في حرامها) على المبتدأ (حساب)، و(عقاب)؛ ليجعل المتلقي يترقب تفسيرًا، أو ارتباطًا معينًا قبل أن تعلن النتيجة بذكر لفظة (الحساب) و(العقاب).

ومن ذلك قوله (عليه السلام): «لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَإِلاَّ رَكِبْنَا أَعْجَازَ اَلْإِبِلِ وَإِنْ طَالَ اَلسُّرَى»[٢٠]، يتمثل كسر التتابع الرصفي هنا بتقديم الخبر (لنا)

على المبتدأ (حقٌ)؛ إذ تَقَدَّمَ الخبر وجوبًا على المبتدأ كون الخبر شبه جملة، والمبتدأ نكرة غير مخصصة، ففي تقديم الخبر بيان لشرف مكانة أهل البيت (عليهم السلام) وفضلهم، فهم بيت النبوّة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، وبهذا يكون المتلقي مترقبًا متشوقًا لمعرفة ما لهم، وهذا التقديم يُظهر الحق كجزءٍ من هوية المتحدثين وارتباطهم النفسي به. هذه الصياغة تعطي للمتلقي انطباعًا بأنَّ الحق جزء من كيان المتحدّثين، وليس مجرد مطلب مادي أو حق عابر. فالتعبير يوحي بمدى أهمية هذا الحق لأصحابه، ممَّا يخلق تجاوبًا عاطفيًّا لدى المتلقي، ويزيد من التأثير النفسي للنص؛ إذ قال الشريف الرضي (رحمه الله): ((وهذا القول من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه أنّا إن لم نعط حقّنا كنّا أذلاّء، وذلك أنّ الرّديف يركب عجز البعير، كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما))[٢١]، ويذكر الأزهري تفسيرًا لأعجاز الإبل في تهذيبه، فيقول: ((أعجاز الْإِبِل: مآخيرها، جمع عَجُز، وَهُوَ مركب شاقّ. قَالَ: وَمَعْنَاهُ إِن مُنِعنا حَقَّنا ركبْنا المشقَّة وصَبَرنا عَلَيْهِ وَإِن طَال، وَلم نَضجَرْ مِنْهُ مُخِلِّين بحقِّنا))[٢٢].

ومن ذلك أيضًا قوله (عليه السلام): «فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ»[٢٣]، المتأمّل في قوله (عليه السلام) يجد أنَّ الخبر (في تقلب الأحول) قد تقدَّم على المبتدأ (علمُ)، وفي هذا التقديم كسرٌ للتتابع الرصفي لتركيب الجملة، وهذا التقديم له دورٌ فعالٌ في ترابط النص وتماسكه، فقد أسهم هذا التقديم بجملة من الأمور أهمّها:

١) شدُّ انتباه المتلقي إلى المتقدّم (في تقلّب الأحوال) الذي بدوره يكشف معادن الرجال وجوهرهم، وهذا بدوره يعطي أهمية كبيرة ويهيّئ المتلقي لفهم حقائق الناس التي أحيانًا لا تُعرف إلّا

في أوقات التحول والتغيير.

٢) جعل المتلقي متشوقًا لمعرفة النتيجة، أو الحكمة المرتبطة بهذا التقلّب؛ وبذا، يُلْفَتُ انتباهه سريعًا إلى المتقدّم وأثره قبل الوصول إلى نتيجة العبارة، ممَّا يزيد من تركيزه على المعنى.

٣) يمنح المعنى قوةً ووضوحًا أعمق للعبارة؛ إذ يتم التركيز على أنَّ جوهر الرجال لا يظهر أحيانًا إلّا عند تغير الأحوال، ممَّا يُعزز الفكرة القائلة بأنَّ الشدائد والتحولات هي التي تكشف معادن الناس وحقائقهم.

٤) يعطي النص انطباعًا بأنَّ تقلّب الأحوال هو الشرط الأساس والرئيس لاكتشاف جواهر الرجال. وبهذا التقديم، يكون النص أكثر تأثيرًا ووضوحًا في نقل الفكرة الأساسية، وهي أنَّ معادن الناس تظهر في الأوقات الصعبة.

ومن خطبة له (عليه السلام) في الحث على الجهاد وذم المتقاعسين؛ إذ يقول: «قَاتَلَكُمُ اَللهُ لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ اَلتَّهْمَامِ أَنْفَاساً وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَاَلْخِذْلاَنِ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ اِبْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ لله أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً [مُقَاماً] وَأَقْدَمُ فِيهَا مُقَاماً مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ اَلْعِشْرِينَ وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى اَلسِّتِّينَ وَلَكِنْ لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ»[٢٤]، هذه الخطبة من الخطب المشهورة بين الناس، والمتأمّل في ألفاظها يجد أنَّ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يستغرب ويستهجن قول قريش؛ إذ يقولون عنه إنّه شجاع، لكنه لا يمتلك معرفة كافية بفنون الحرب، وهذه العبارة تظهر نقد الإمام لهذا القول، وتأتي في سياق ردّه على من يقللون من شأنه في المعرفة العسكرية على الرغم من شجاعته التي يشهدُ له فيها الخصوم قبل غيرهم؛ لذا يسخر

الإمام منهم ومن قولهم، فالمعروف عنه أنه من أعظم القادة العسكريين، وأكثرهم خبرةً ودهاءً في المعارك، وقد أثبتت ذلك مواقفه البطولية؛ إذ يحمل قولهم تناقضًا صريحًا، فهم يعترفون بشجاعته لكنهم ينفون عنه علم الحرب، وهو أمر بعيد عن الحقيقة؛ كونه قد شارك في معارك عديدة منذ شبابه، وكان له دور حاسم فيها.

وفي هذه الخطبة كسرٌ للترابط الرصفي، فقد تقدَّم الخبر (لله) على المبتدأ (أبوهم)؛ لإرادة الاستهجان والتعجب لما يقولون، فالتقديم هنا جاء بمنزلة دعاء عليهم وسخرية من كلامهم المتناقض، كما لو كان يقول: ليعجب الله من قولهم هذا، كيف يغفلون عن حقيقته ويقولون كلامًا غير منطقي، ولعلَّ في تقديم الخبر على المبتدأ إشارات لطيفة جعلت من إعلامية النص مرتفعة لدى المتلقي، فبتقديم الخبر (لله) يتوجب على المتلقي التوجه والاهتمام والتركيز على لفظ الجلالة المتقدّم؛ الأمر الذي يكسب العبارة معنى التعظيم والتوكيد على أنَّ الأمر كلّه بيد الله، وأنَّه الأعلم بحقيقة الناس ونواياهم. فتقديم لفظ الجلالة يجعل المتلقي يدرك أنَّ هذا القول صادرٌ عن معرفة الإمام علي بقدرة الله وتمكينه.

ومن كسر الترابط الرصفي تقديمُ خبر (إنَّ) على اسمها في قوله (عليه السلام): «**إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالاً وَإِدْبَاراً فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا فَإِنَّ اَلْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ**»[٢٥]، فقد تقدَّم خبر (إنَّ) (للقلوب) على اسمها (شهوةً)، ولعلَّ الإمام (عليه السلام) في هذا التقديم أراد أن يبيّن أهمية القلوب، فللقلوب حالات مختلفة، فهي أحيانًا تمرُّ بفترات تكون فيها متوجهة ومقبلة على الأمور ومتحمسة (إقبال)، وأحيانًا أخرى تكون منصرفة وذات فتور (إدبار)؛ لذا ينصح الإمام (عليه السلام) بضرورة التوجه إلى

القلوب عندما تكون مهيَّأة، ومستعدة لتلقي الأفكار، أو التعلم أو العمل، أي عندما تكون في حالة من (الإقبال)، والرغبة والشهوة لفعل الشيء، بمعنى آخر، ينبغي استثمار الوقت المناسب للتأثير في القلوب وتحفيزها على العمل، وعدم إجبارها في أوقات فتورها. والمتلقي هنا يتفاجأ في هذا التركيب؛ إذ لا يتوقع هذا التركيب، فتقديمُ خبر (إنَّ) (للقلوب) هو غاية البلاغة من أمير البيان، فلو جاء متأخرًا، لَما شعر المتلقي بأهمية القلوب وكيفية التعامل معها؛ لأنَّ ((القلب عضو من الأعضاء يتعب ويستريح، كما تتعب الجثة عند استعمالها وأحمالها وتستريح عند ترك العمل، كما يتعب اللسان عند الكلام الطويل ويستريح عند الإمساك، وإذا تواصل إكراه القلب على أمر لا يحبه ولا يؤثره تعب؛ لأنَّ فعل غير المحبوب متعب))[٢٦]، ولأنَّ مرسل النص أحيانًا يعمد إلى ترك أثر في نفس المتلقي؛ لذا يعمد على إثارة كل ما هو غير مألوف في تراكيب اللغة، ليحصل بذلك على إشغال لب المتلقي في التفكير؛ ((لأنَّ القيمة الجمالية والتأثيرية لا تكمن في اختيار الألفاظ فحسب، وإنَّما أيضًا بطريقة الصياغة))[٢٧].

وممَّا نحن في سبيله يقول (عليه السلام) وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعمَّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر: «**إِنَّ فِي أَيْدِي اَلنَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً وَصِدْقاً وَكَذِباً وَ نَاسِخاً وَمَنْسُوخاً وَعَامّاً وَخَاصّاً وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً وَحِفْظاً وَوَهَماً وَهْماً**»[٢٨]، يدعو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الناس إلى التفكّر والتدبّر إلى ما في أيديهم، وضرورة أن يميزوا بين الحق والباطل، فليس كل ما بين أيدينا صحيحًا، فربما تتداخل الحقائق مع الأوهام؛ لذا يتطلب من الإنسان أن يكون حذرًا واعيًا متيقظًا؛ ليميز الحق من الباطل، فالإمام (عليه السلام) يبدأ بالتمييز بين

الحق والباطل؛ ليدلل على أنَّ ما يتناقله الناس لا يكون دائمًا حقًّا خالصًا، فهناك حقائق، ولكنها مختلطة أيضًا بأباطيل؛ لذا يشير (عليه السلام) إلى ضرورة التمييز بين الحق والباطل، ولا ينبغي قبول كل ما يُقال على علّاته.

وقد تقدَّم خبر (إنَّ) (في أيدي الناس) على اسمها (حقًّا)؛ إذ جاء مغايرًا للمألوف، ولعلَّ هذا التقديم يخلق نوعًا من التشويق؛ إذ يوجّه ذهن السامع أولًا إلى أيدي الناس كمصدرٍ لهذه الأشياء، الأمر الذي يدفعه للتساؤل: ما الذي يوجد في أيدي الناس؟ وهذا يجعل السامع أكثر تركيزًا وانتباهًا للجزء الثاني من الجملة، وهو محتوى أيديهم (الحق، الباطل،...)، ممَّا يرفع من كفاءة النص الإعلامية، فالمتلقي هنا تتبادر إلى ذهنه مجموعة من الأشياء منها: أنَّ موضع الخطبة هو ما في أيدي الناس من الأمور المتنوعة، ولا يقتصر على الحق والباطل، وربما يعطي التقديم إحساسًا لدى المتلقي بأنَّ (الحق، والباطل، والصدق، والكذب) أشياء مختلطة ومتداولة؛ لذا تحتاج إلى أن يسلط الضوء على فكرة هذا الاختلاف والتنوع الإنساني في الفهم والتفسير، وقد يفهم المتلقي شيئًا آخر غير الذي قيل، فقد يجد أنَّ هذه الصفات والمفاهيم (الحق والباطل، والصدق والكذب) ليست مرتبطة بجميع الناس بصورة عامة، وإنَّما في أيدي الناس، أي أنَّها موزعة ومتداولة بينهم، ولا يملكها شخص بعينه أو فئة بعينها، وهذه الأفكار التي تتولد في ذهن المتلقي تجعل من النص أكثر انسجامًا وترابطًا، ويمنح النص بلاغة وقوة؛ إذ يوجّه الانتباه إلى مصدر التنوع والاختلاط، ويجعل الجملة أكثر وضوحًا وكثافة في المعنى، ممَّا يعكس دقة الصياغة البلاغية للإمام علي (عليه السلام)، ويجعل الفكرة تصل بسهولة إلى المتلقي.

ومن كسر الترابط الرصفي تقديمُ المفعول به على الفاعل، فقد جاء في خطب الإمام علي (عليه السلام) هذا النمط من التقديم، ومن ذلك قوله (عليه السلام) في خطبة يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وخلق آدم (عليه السلام): «اَلْحَمْدُ لله اَلَّذِي لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ اَلْقَائِلُونَ وَلاَ يُحْصِي نَعْمَاءَهُ اَلْعَادُّونَ وَلاَ يُؤَدِّي حَقَّهُ اَلْمُجْتَهِدُونَ [اَلْجَاهِدُونَ] اَلَّذِي لاَ يُدْرِكُهُ بُعْدُ اَلْهِمَمِ وَلاَ يَنَالُهُ غَوْصُ اَلْفِطَنِ اَلَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَلاَ نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَلاَ وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَلاَ أَجَلٌ مَمْدُودٌ فَطَرَ اَلْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ وَنَشَرَ اَلرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ»[٢٩].

المتأمّل في هذه الخطبة وألفاظها يلحظ أنَّ الإمام (عليه السلام) أراد أن يبيّن عجز الإنسان أمام عظمة الله عزَّ وجلَّ، فمهما حاول الإنسان أن يحيط بعظمته سبحانه يجد نفسه عاجزًا أمام بلوغ صفاته عزَّ وجلَّ، فصفاته سبحانه أسمى من أن تحيط بها أقوال القائلين، أو يمكن أن تكون تحت إدراك البشر.

ولقد تقدَّمت المفاعيل: (مدحَته، نعماءَه، حقَّه)، على الفاعل: (القائلون، العادّون، المجتهدون)، ولعلَّ في تقديم المفعول به (مدحته) على الفاعل (القائلون) التفاتة لطيفة، وهي إظهار الكمال الإلهي الذي يفوق تصور البشر، فالتقديم يظهر أهمية موضوع المدح؛ إذ عن طريقه يتبيّن عجز المادحين في إدراك عظمته سبحانه وتعالى، أمَّا تقديم المفعول به (نعماءه) على الفاعل (العادون)، فيبرز شمول النعم الإلهية واتساعها، بحيث تصبح هي مركز التركيز عند المتلقي، وليس الجهد البشري، وفي تقديم المفعول به (حقَّه) على الفاعل (المجتهدون)، يركز الإمام علي (عليه السلام) على حقّ الله سبحانه وتعالى العظيم الذي يفوق تصور الإنسان وقدرته مهما اجتهد وأخلص، ومن هنا يتضح ما للتقديم من فائدة

عظيمة؛ إذ أعطى حصرًا للمعنى في بيان كمال الله سبحانه وتعالى، وأنَّه لا يمكن إدراكه أو تصوره، أو الإحاطة به؛ لذا نجد أنَّ التقديم قد أسهم في ترابط النص عبر تسليط الضوء على ما يخص الله عزَّ وجلَّ من (المدح، والنعم، والحق)، فالتقديم هنا جاء مخالفًا للمألوف من تركيب الجملة العربية، وقد جعل المتلقي يكرس اهتمامه على عجز المخلوق لعظمة الخالق.

و من كلام له (عليه السلام) للخوارج لَمَّا سمع قولهم: لا حكم إلّا لله: «قَالَ: كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ نَعَمْ إِنَّهُ لاَ حُكْمَ إِلاَّ لله وَلَكِنَّ هَؤُلاَءِ يَقُولُونَ لاَ إِمْرَةَ إِلاَّ لله وَإِنَّهُ لاَ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ اَلْمُؤْمِنُ وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا اَلْكَافِرُ وَيُبَلِّغُ اَللهُ فِيهَا اَلْأَجَلَ وَيُجْمَعُ بِهِ اَلْفَيْءُ وَيُقَاتَلُ بِهِ اَلْعَدُوُّ وَتَأْمَنُ بِهِ اَلسُّبُلُ وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ اَلْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ (عليه السلام) لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ حُكْمَ اَللهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ وَقَالَ أَمَّا اَلْإِمْرَةُ اَلْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا اَلتَّقِيُّ وَأَمَّا اَلْإِمْرَةُ اَلْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا اَلشَّقِيُّ إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ»[٣٠].

بعد أن نشبت الفتنة والخلافات في زمن الإمام علي (عليه السلام)، جاء دور حكمته في درء الفتن ولاسيَّما مع الخوارج الذين رفعوا شعار: (لا حكم إلّا لله)، وهي كلمةُ حقٍّ يُراد بها باطل، كما وصفها (عليه السلام)، وهذه العبارة جاءت لتبرير العصيان والخروج عن طاعته (عليه السلام)، ويركّز الإمام في خطبته هذه على كثير من الأمور، لعلَّ أهمها هو ضرورة أن يكون للناس حاكم تقيّ، يعمل بتعاليم الله سبحانه وتعالى، فالإمارة البرّة هي الحكم الذي يقوم على العدل والتقوى. وفي ظل هذا الحكم، تتحقق العدالة ويعم الأمن، أمَّا الإمارة الفاجرة، فهي الحكم الجائر الذي يفتقد إلى العدل

والتقوى، وفيه يحكم الفاسدون المتقين، فتكون النهاية هي الظلم والفساد.

والمتأمّلُ في نص الخطبة يجد كسرًا للترابط الرصفي؛ إذ تقدَّم المفعول به (حُكمَ) على الفعل والفاعل (أنتظرُ)، وهذا التقديم له دلالات كثيرة منها:

١) بيان أهمية حكم الله، ففي تقديم المفعول به يكون المتلقي أكثر تركيزًا واهتمامًا على المتقدِّم.

٢) محور أساس الخطبة هو (حكم الله)؛ لذا قُدِّمَ، لتأكيد أنَّ ما يُنتظَر ويُرجى هو عدالة الله المطلقة.

٣) تقديم المفعول به (حكم الله) أفاد التخصيص؛ أي أنَّ المنتظر ليس حكم الفجرة الكفرة، بل هو حكم الله تحديدًا.

٤) التقديم يعكس تعلّق الإمام (عليه السلام) الروحي والنفسي بحكم الله سبحانه وتعالى؛ إذ تجده ينطق بكل جوارحه وما يدور في وجدانه من أمل في حكم الله، ففيه تتحقَّق العدالة.

وقد تتقدَّم الحال على صاحب الحال، والأصل في ترتيبها التأخير، وهذا التقديم ورد أيضًا في القرآن الكريم؛ إذ تتقدَّم الحال على صاحبها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥١]، فقد تقدَّمت الحال (متكئين) على صاحبها (واو الجماعة) في كلمة (يدعون)، وقد ورد التقديم في خطب نهج البلاغة، ومن ذلك قوله (عليه السلام) في خطبة له «اَلْحَمْدُ لله اَلَّذِي جَعَلَ اَلْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ وَدَلِيلاً عَلَى آلاَئِهِ وَعَظَمَتِهِ عِبَادَ اَللهِ إِنَّ اَلدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ لاَ يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ وَلاَ يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلاَمُهُ فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ اَلزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي اَلظُّلُمَاتِ»[٣١].

المتأمّل في قول الإمام (عليه السلام) يجد أنَّه يُظهرُ وعظًا عميقًا عن ضرورة

فهم الإنسان لسرعة الزمن، والاعتبار بمن مضى، والاهتمام بإصلاح الذات بدلًا من الانشغال بأمور الآخرين؛ لذا يحذّر الإمام (عليه السلام) الناس بعبارة موجزة (فمن شغل نفسه بغير نفسه تحيّر في الظلمات)، فالعناية بالنفس والانشغال بها أولى من الانشغال بالآخرين، فهو يجلب الحيرة في الظلمات.

وقد جاءت الحال مغايرة للمألوف في هذه الخطبة؛ إذ تقدَّمت الحال (سرمدًا) على صاحبها (ما) الاسم الموصول، وإذا ما تأملنا في هذا التقديم نجد مظاهر عدة لارتفاع الكفاءة الإعلامية يمكن الإشارة إليها عن طريق ما يأتي:

١) بتقديم الحال "سرمدًا" على صاحبها، يُلفت الإمام (عليه السلام) انتباه المتلقي إلى استحالة بقاء أي شيء في هذا العالم بصفة أبدية.

٢) بيَّنَ التقديم حال الأشياء وأعطى انطباعًا بأنَّ الديمومة المطلقة للأشياء أمر مستحيل، وهو المعنى الأساس في هذا السياق.

٣) يجذب التقديم انتباه المتلقي إلى فكرة زوال الدنيا وما فيها، ويعزز من وقع العبارة، ممَّا يضيف موسيقية إلى النص.

٤) تقديم الحال (سرمدًا) على صاحبها يخصص المعنى، ويجعل صفة البقاء غير الدائم جوهر الرسالة التي يريد الإمام إيصالها.

وممَّا سبق يتضح لنا كيف أثرت إعلامية النص على المتلقي؛ إذ جعلته متشوقًا مترقبًا؛ إذ يحاول ربط عناصر النص، وربط المتأخر بالمتقدّم، ((فتغير مواقع المفردات والعبارات في حركتها الأفقية في النص يأتي لإفادة تقوية الحكم وتوكيده وتقريره في مواجهة شك المتلقي، ويفضي إلى جِدّة في طريقة العرض، لإحداث مفاجآت وكسر للتوقع ممَّا يؤدي إلى البحث عن المعنى))[٣٢].

المبحث الثاني:

إعلامية التناص في نهج البلاغة

التناص: هو علاقة بين نصين أو أكثر، وهذه العلاقة تؤثر بشكل أو بآخر على طريقة قراءة النص المتناص؛ أي الذي تقع فيه آثار نصوص أخرى، ولعل أغلب الباحثين يتفقون على أنَّ التناص يعني استحضار نص لنص آخر، ويعني أيضًا تلك العناصر الموجودة في نص ما، وتربطه بنصوص أخرى، وبذلك تتشكل النصوص من نصوص أخرى وتنبني كذلك من مضامينها[٣٣]، ويرى بعض الدارسين للتناص أنَّه ضرورة، وعنصر لا بُدَّ منه في جميع النصوص؛ لذا يقول محمد الأخضر الصبيحي: ((لمّا كان التناص عنصرًا قارًّا في كل النصوص. ولمَّا كان أحد أهداف علم النص تحديد مقومات الخطاب، فلا يمكن إذًا، وبأية حال من الأحوال، التغافل عن هذه الظاهرة النصية الهامة))[٣٤]، ويرى دكتور صلاح فضل أنَّ النص عملية إنتاجية تعني أمرين: أحدهما: علاقته باللغة التي يتموقع فيها، وثانيهما: أنَّ النص يمثل عملية استبدال من نصوص، أي عملية تناص، ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى، الأمر الذي يجعل بعضها يقوم بتحييد النصوص الأخرى ونقضها[٣٥].

ويُعَدُّ التناصُّ (Intertextuality) من الظواهر الأدبية التي تعني تداخل النصوص؛ إذ تحتوي النصوص على إحالات، واقتباسات، أو تلميحات لنصوص أخرى. وهذه الظاهرة ترفع الكفاءة الإعلامية للنص وبطرق عدة منها ما يأتي:

١) يعزز التناص الفهم والمعرفة المشتركة، فعندما يتضمن النص تناصًا مع نصوص أخرى دينية مثل القرآن الكريم، الأحاديث النبوية، أو أدبية مثل الشعر العربي القديم، أو النصوص

الأدبية الكبرى، فإنَّه يُفعّل ذاكرة المتلقي؛ الأمر الذي يُضفي عمقًا دلاليًّا، ويجعل النص ذا كفاءة إعلامية عالية؛ لأنه يربط بين محتواه وموروثه الديني، أو الثقافي أو المعرفي.

٢) يساعد التناص على إضافة مستويات متعددة من المعنى؛ وهذا من شأنه جعل النص غنيًّا بالدلالات.

٣) يثير التناص فضول القارئ؛ إذ يجعله مترقبًا لمعرفة العلاقة بين النص الحالي والنص المتناص الذي أُشير إليه؛ ممَّا يجعل مستوى التفاعل بين المتلقي والنص مرتفعًا، وبذلك يزيد من إعلاميَّته.

٤) استعمال التناص مع نصوص دينية، وأدبية، ومعرفية، يجعل من النص أكثر ثقلًا معرفيًّا وأدبيًّا؛ لذا يبدو أكثر قوةً وإقناعًا بالنسبة إلى المتلقي.

٥) يُبيّنُ التناص فهم المرسل وإدراكه للسياق الثقافي والاجتماعي الذي ينتمي إليه النص. ويكون ذلك عن طريق استحضار نصوص أخرى؛ إذ يُظهر باثُّ النص مهارته ووعيه بالعالم الذي يتحدَّث عنه، ممَّا يرفع من كفاءة النص الإعلامية.

والتناصّ في نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يظهر بشكل جلي في خطبه ورسائله وحِكمه؛ إذ يعتمد على الإحالة إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية، والشعر العربي القديم. وهذه الإحالات تعطي النص عمقًا بلاغيًّا ودلاليًّا، وتبيّن ثراء الثقافة الإسلامية والعربية.

وممَّا جاء في خطب الإمام (عليه السلام)، وقد تضمَّنت تناصًا قرآنيًّا؛ إذ يقول في خطبةٍ له بعد مقتل طلحة والزبير: «اَلْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ اَلْعَجْمَاءَ ذَاتَ اَلْبَيَانِ عَزَبَ [غَرَبَ] رَأْيُ اِمْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي مَا شَكَكْتُ فِي اَلْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ لَمْ يُوجِسْ مُوسَى (عليه السلام) خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ اَلْجُهَّالِ

وَدُوَلِ اَلـضَّلالَ اَلْيَـوْمَ تَوَاقَفْنَـا عَلَى سَـبِيلِ اَلْحُـقِّ وَاَلْبَاطِلِ مَـنْ وَثِـقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ»[٣٦]، المتأمل في الخطبة يجد أنَّ الإمام (عليه السلام) يستعملُ أسلوبًا خطابيًّا رفيعًا يجمع بين الإشارة الرمزية، والتناص الديني، والوضوح البلاغي؛ لبيان الحقائق الكبرى. ولعل في النص دلالات كثيرة نوضح أبرز ما فيه:

١) يستعملُ الإمام (عليه السلام) استعارةً؛ إذ يشير إلى أنَّ العجماء التي لا نطق لها ستنطق بالحقائق الواضحة، فهي مع غموضها جلية لأولى الألباب، فكأنَّها تنطق كما ينطق ذوو الألسنة.

٢) في قوله: "لم يوجس موسى خيفةً على نفسه" يتناص مع القرآن الكريم، لكنه يُحوِّر الفكرة لإبراز ثقة الإمام علي (عليه السلام) بالحق. يشير إلى أنَّ الخوف الذي اعترى موسى لم يكن خوفًا على نفسه، بل هو خوف وقلق من الفتنة والشبهة على مجتمعه ودينه.

٣) التوازن بين الحق والباطل، ففي قوله: (اَلْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ اَلْحَقِّ وَاَلْبَاطِلِ)، اليوم اتضح الحق والباطل وعرفناهما نحن وأنتم، فهو تعبير عن لحظة فاصلة تتجلّى فيها الأمور بوضوح لا خلط فيه ولا التباس.

ورد التناص في قوله: (لم يوجس موسى خيفةً على نفسه) وهو تناص قرآني غير مباشر مع الآية القرآنية المباركة: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ [طه: ٦٧]، فقد ذكر الإمام (عليه السلام) جزءًا من النص المقتبس مع تغيير في ألفاظه وبما يتناسب مع سياق الخطبة؛ إذ إنَّ استلهام معاني القرآن الكريم، أو ألفاظ آياته يجعل التواصل بين منتج النص والمتلقي تواصلًا ناجحًا، فهو (أي التناص) يعطي النص ثقلًا أدبيًّا، وعمقًا دينيًّا وتاريخيًّا، وهذا ما يجعله نصًّا مؤثرًا وموجهًا نحو الهداية والإرشاد.

ومن التناص المباشر في خطب الإمام (عليه السلام) ما جاء في خطبة

لـه يـذم فيهـا اخـتلاف العـلماء في الفتيـا، خرجت لغرض بلاغي، أريد به توبيخ فيقـول: «أَفَأَمَرَهُـمُ اَللهُ تَعَـالَى سُـبْحَانَهُ بِالِاخْـتِلَافِ فَأَطَاعُـوهُ أَمْ نَهَاهُـمْ عَنْـهُ فَعَصَـوْهُ أَمْ أَنْـزَلَ اَللهُ سُـبْحَانَهُ دِينـاً نَاقِصـاً فَاسْـتَعَانَ بِهِـمْ عَلَى إِتْمَامِـهِ أَمْ كَانُـوا شُـرَكَاءَ لَـهُ فَلَهُـمْ أَنْ يَقُولُـوا وَعَلَيْـهِ أَنْ يَـرْضَى أَمْ أَنْـزَلَ اَللهُ سُـبْحَانَهُ دِينـاً تَامّـاً فَـقَصَّرَ اَلرَّسُـولُ (صلى الله عليه وآله) عَـنْ تَبْلِيغِـهِ وَأَدَائِـهِ وَاَللهُ سُـبْحَانَهُ يَقُـولُ: ﴿مـا فَرَّطْنـا فِي اَلْكِتـابِ مِـنْ شَيْءٍ﴾ وقـال: ﴿فِيـهِ تِبْيَـانٌ لِـكُلِّ شَيْءٍ﴾ وَذَكَـرَ أَنَّ اَلْكِتَـابَ يُصَـدِّقُ بَعْضُـهُ بَعْضـاً وَأَنَّـهُ لاَ اِخْـتِلَافَ فِيـهِ فَقَـالَ سُـبْحَانَهُ: ﴿وَلَـوْ كانَ مِـنْ عِنْـدِ غَيْرِ اَللهِ لَوَجَـدُوا فِيـهِ اِخْتِلافـاً كَـثِيراً﴾ وَإِنَّ اَلْقُـرْآنَ ظَاهِـرُهُ أَنِيـقٌ وَبَاطِنُـهُ عَمِيـقٌ لاَ تَفْنَـى عَجَائِبُـهُ وَلاَ تَنْـقَضِي غَرَائِبُـهُ وَلاَ تُكْشَـفُ اَلظُّـلُمَاتُ إِلاَّ بِـهِ»[٣٧]، يلحـظ مـن الخطبـة أنَّهـا تتنـاول تسـاؤلات عـدة تحمـل أبعـادًا عميقـة، فالإمـام (عليـه السـلام) يطـرح مجموعـة تسـاؤلات، وهـذه التسـاؤلات لا يُـراد بهـا أجوبـة، بـل هـي تسـاؤلات مـن لم يعمـل بتعاليـم الدِّيـن الإسلامـي وشرائعـه، وهـذه الأسـئلة تركـز بوضـوح على أنَّ الاختلافـات والتفسـيرات الخاطئـة للدِّيـن ليسـت بأمـرٍ إلهـي، بـل نتيجـة أهـواء بشريـة، وليـس النقـص في الدِّيـن أو الشريعـة الإسلاميـة المحمَّديـة؛ لـذا اسـتعمل التنـاص المبـاشر في قولـه تعـالى: ﴿مـا فَرَّطْنـا فِي اَلْكِتـابِ مِـنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعـام: ٣٨]، وغير المبـاشر في قولـه: ﴿فِيـهِ تِبْيَـانٌ لِـكُلِّ شَيْءٍ﴾؛ إذ تنـاص مـع قولـه سـبحانه وتعـالى: ﴿وَنَزَّلْنَـا عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ تِبْيَانًـا لِّـكُلِّ شَيْءٍ وَهُـدًى وَرَحْمَـةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْـلِمِينَ﴾ [النحـل: ٨٩]، ليـبيّن أنَّ الشريعـة المحمَّديـة شريعـة متكاملـة لا نقـص فيهـا، وهـذه الخطبـة ليسـت خطابًـا وعظيًـا وحسـب، بـل هـي دعـوة للتدبّـر العميـق في النصـوص الدينيـة، وفهمهـا فـهمًا صحيحًـا بعيـدًا عـن التـأويلات السـطحية أو المغرضـة. وهـي دعـوة أيضًـا للرجـوع إلى القـرآن

وفهم نصوصه وأحكامه، بوصفه مصدرًا نهائيًّا وشاملًا للهداية.

ومن هنا يمكن القول: إنَّ التناص الديني المباشر وغير المباشر في الخطبة أظهر القرآن الكريم كتابًا شاملًا لا يشوبه النقص، وهو مصدر تام للتشريعات كلّها، والتناص مع النص القرآني المقدّس يربط الخطبة بالسياق الثقافي الذي يكون فيه المتلقي مستقبلًا للنصوص القرآنية كمرجع أعلى؛ لذا يتحقق الاندماج بين نص الخطبة وعقلية المتلقي، فيُصبح النص أكثر كفاءة إعلامية، وأكثر قوة وتأثيرًا.

ومن خطبة له (عليه السلام) «اَلْحَمْدُ لله اَلْأَوَّلِ فَلاَ شيءَ قَبْلَهُ وَاَلآخِرِ فَلاَ شيءَ بَعْدَهُ وَاَلظَّاهِرِ فَلاَ شيءَ فَوْقَهُ وَاَلْبَاطِنِ فَلاَ شَيءَ دُونَهُ»[٣٨].

المتأمل في خطبة الإمام (عليه السلام) يجد معاني عقدية أهمها:

١) لفظة (الأول): تؤكد على أزلية الله (سبحانه وتعالى)، فهو الذي لا بداية لوجوده.

٢) لفظة (الآخر): يظهر أبدية الله، وأنَّه (سبحانه وتعالى) موجود، لا نهاية له.

٣) لفظة (الظاهر): تدل على علوه (سبحانه)، وظهوره في بديع خلقه وآياته.

٤) لفظة (الباطن): تعبيرٌ عن إحاطة الله (سبحانه وتعالى) بكل شيء، فهو العالم بما في البواطن والمكنونات.

ويلحظ أيضًا التقابلات الموجودة؛ إذ نجد هناك تناسبًا بلاغيًّا، وتقابلًا بين الكلمات، مثل (الأول)، و(الآخر)، و(الظاهر) و(الباطن)، الأمر الذي يخلق توازنًا جماليًّا ومعنويًّا، ويلحظ أيضًا تناصًّا مع قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، فقد وظَّف الإمام علي (عليه السلام) التناص توظيفًا جعل المفاهيم الدينية مرتبطة بالتعبير البلاغي، ممَّا يُظهرُ مكانة

هـذه الصفـات في العقيـدة الإسلاميـة، والتـذكير بـأسماء الله الحسـنى يجعـل المتلقـي مرتبطًـا بالنـص؛ إذ يسـاعد على فهـم شـامل لبعـض أسماء الله، ممَّـا يرسـخ معـاني التوحيـد، وكل مـا ذكـر يزيـد مـن كفـاءة إعلاميـة النـص؛ إذ تجعـل المتلقـي مترقبًـا متشـوقًا لربـط نـص الخطبـة بالنـص القـرآني الأمـر الـذي يعـزّز الفهـم ويثـري المعنـى ويوسـع قاعـدة المتلقـي في النصـوص القرآنيـة المتناصـة، وبهـذا يكـون التنـاص قـد شـكل ركيـزة قويـة جعلـت النـص حيًّـا وفعـالًا.

الخاتمة:

١) تـدور معـاني الإعلاميـة حـول الإعلام والإخبـار والإبلاغ، وعلى تفاعـل المتلقـي مـع عنـاصر النـص غير المتوقعـة.

٢) درجـة ارتفـاع إعلاميـة النـص تعتمـد إلى حـدٍّ كـبير على تنـوع المعلومـات وجدتهـا، فـكلما توقـع المتلقـي عنـاصر النـص انخفضـت إعلاميتـه، والعكـس صحيـح، بشرط ألّا ينعـدم التواصـل بين مرسـل النـص والمتلقـي.

٣) يُعَـدُّ كتـاب نهـج البلاغـة نصًّـا غنيًّـا بالكفـاءة الإعلاميـة؛ إذ يحمـل في طياتـه معـاني عميقـة وأفـكارًا تتجـاوز حـدود الزمـان والمـكان.

٤) اسـتعمل الإمـام (عليـه السـلام) التقديـم والتـأخير بـكل أشـكاله لـكسر توقـع المتلقـي وشـدّ انتباهـه، ثـم ليبيّن مـا يريـده في خطبـه.

٥) ربـط نصـوص الخطبـة بالنـص القـرآني يعـزّز الفهـم ويثـري المعنـى ويوسـع قاعـدة المتلقـي في النصـوص القرآنيـة المتناصـة، وبهـذا يكـون التنـاص قـد شـكَّل ركيـزة قويـة جعلـت النـص حيًّـا وفعـالًا.

الهوامش

(١) ينظر: الاتصال وأشكاله المختلفة، أحمد بن مرسلي، بحث منشور، حوليات جامعة الجزائر: ٨٢.

(٢) ينظر: فن العلاقات العامة والإعلام، إبراهيم إمام: ١٨٦.

(٣) لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٢٨٨.

(٤) الاتصال وأشكاله المختلفة: ٨٤.

(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري: مقدمة الكتاب.

(٦) استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري: مقدمة الكتاب.

(٧) ينظر: الإعلامية أبعادها وأثرها في تلقي النص دراسة نظرية تحليلية، محمد عبد الرحمن إبراهيم: ٢٧.

(٨) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، ديبوغراند وآخرون: ٣٣.

(٩) ينظر: أسرار البلاغة في علم البيان، الجرجاني: ١١١.

(١٠) مدخل إلى علم اللغة النصي: ٨٠.

(١١) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي: ٨٦.

(١٢) النص والخطاب والإجراء، تمام حسان: ٢٣.

(١٣) ينظر: نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج: ٦٦-٦٨.

(١٤) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٢٥١.

(١٥) المصدر نفسه: ١٣٦.

(١٦) الإعلامية في الخطاب القرآني، دراسة في ضوء نظرية التواصل، زهراء البرقعاوي: ٧٥.

(١٧) دلائل الإعجاز، الجرجاني: ١٠٦.

(١٨) الخصائص، ابن جني: ٢/ ٣٨٤.

(١٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٢٦٢.

(٢٠) شرح نهج البلاغة: ١٨/ ١٣٢.

(٢١) المصدر نفسه: ١٨/ ١٣٢.

(٢٢) تهذيب اللغة، الأزهري: ١/ ٢٢٠.

(٢٣) شرح نهج البلاغة: ١٩/ ٣٨.

(٢٤) شرح نهج البلاغة: ٢/ ٧٥.

(٢٥) شرح نهج البلاغة: ١٩/ ١١.

(٢٦) شرح نهج البلاغة: ١٩/ ١١.

(٢٧) إبلاغية الإشارة في نهج البلاغة، عباس

علي حسين الفحام: ١٢٩.

(٢٨) المصدر نفسه: ٢/ ١٨٨.

(٢٩) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٠٥.

(٣٠) شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٨١.

(٣١) شرح نهج البلاغة: ٢/ ٦٩٣.

(٣٢) الإعلامية في الخطاب القرآني: ٧٥.

(٣٣) ينظر: نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٩٤.

(٣٤) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، محمد الأخضر الصبيحي: ١٠٤.

(٣٥) ينظر: مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل: ١٦٢.

(٣٦) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٧٢.

(٣٧) شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٠٩.

(٣٨) شرح نهج البلاغة: ٧/ ٦٧.

المصادر والمراجع:

أوّلًا: القرآن الكريم

- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ٢٠٠٤م.
- أسرار البلاغة في علم البيان: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- الإعلامية في الخطاب القرآني، دراسة في ضوء نظرية التواصل، زهراء البرقعاوي، ط١، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ٢٠١٨.
- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري، (ت ٣٧٠ هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- الخصائص: أبو الفتح ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.
- دلائل الإعجاز: أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م.
- فن العلاقات العامة والإعلام، إبراهيم إمام، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.
- مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص): زتسيسلاف واورزنياك، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- مدخل إلى علم لغة النص: (تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وفولفانج دريسلر): إلهام أبو غزالة، وعلي خليل أحمد، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
- مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، ترجمة: فالح شبيب العجمي، النشر العلمي للمطابع، جامعة الملك سعود، ١٩٩٩م.
- مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، ط١، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٢.

■ نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

■ النص والخطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

■ نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: حسام أحمد، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

الرسائل والأطاريح:

■ الإعلامية، أبعادها وأثرها في تلقي النص دراسة نظرية تحليلية، محمد عبد الرحمن إبراهيم، أطروحة دكتوراه، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ٢٠٠٧م.

البحوث المنشورة:

■ إبلاغية الإشارة في نهج البلاغة، عباس علي حسن الفحام، وسام جمعة لفتة، نور ياسين كريم، بحث منشور، مجلة المبين، العراق، العدد ١٥، ٢٠٢٢م.

■ الاتصال وأشكاله المختلفة، أحمد بن مرسلي، بحث منشور، حوليات جامعة الجزائر، ج١، رقم١١، الجزائر، ١٩٩٨م.